"خطية الطبيعة"
وخطية آدم، كما شرحها
القديس أثناسيوس الرسولي

دكتور
جورج حبيب بباوي

٢٠١٧

www.coptology.org

ليس تعدي آدم وحده، بل تعدي البشرية:

في الفصل الرابع من تجسد الكلمة يؤكد أثناسيوس أن سبب مجيء الكلمة "كان تعدينا الذي استدعى رحمة اللوغوس" (ف ٤: ٢). كانت إرادة الله ان يخلق البشر وأن "يبقى البشر في عدم فساد" ولكن البشر اخترعوا لأنفسهم الشر، ولذلك أخذوا حكم الموت (ف ٤: ٤)، ثم يؤكد "وساد عليهم الموت بل ملك عليهم" (المرجع السابق).

لاحظ هذه العبارة: "لأن تعدي الوصية أعادهم إلى ما هو طبيعي، وكما جاءوا إلى الوجود من العدم، هكذا أيضاً سوف يعانون مع مرور الزمان الفساد الناتج من العدم" (ف ٤: ٤). ويشرح الرسولي ما يقصد: "لأن لهم طبيعة غير قادرة على البقاء لأنهم دُعُوا إلى الوجود بظهور ورحمة اللوغوس، ونتيجة ذلك أنه عندما يفقد البشر معرفتهم بالله (أو فهمهم لله)، وتوجهوا (بالفكر) إلى ما لا وجود له؛ لأن ما لا وجود له هو الشر وما هو كائن هو الخير لأنه خلق بواسطة الله الكائن – وبذلك حُرموا من الوجود الأبدي" (ف ٤: ٥).

الشر أدخل الموت، ورد الإنسان إلى أصله، وهو عدم الوجود؛ لأن الوجود هو ظهور ورحمة اللوغوس الذي يمنح هذا الوجود للإنسانية.

ولكن المعلم الرسولي لا يُعلِّم بفناء الإنسان؛ لأن الإنسان دُعي برحمة الله إلى الوجود، وشر الإنسان لا ينزع رحمة الله. ويشرح باقي التعليم في نفس الفصل "ولكن هذا يعني أنهم عندما يهلكون سوف يبقون في الموت والفساد؛ لأن الإنسان ميت بالطبيعة Man is by nature mortal – Κατα φυσιν ανθρωπος θυντος لأنه خلق من العدم" (ف ٤: ٥ – ٦).

لا يقف اثناسيوس عند هذه الحقيقة الصادمة "ولكن بسبب مشابهته لمن هو كائن، إذا حفظ هذا (المشابهة) بتأمل الله، كان قادراً على أن يفلت من الفساد الطبيعي إذا بقى بلا فساد كما يقول سفر الحكمة (٦: ١٨) وإذا عاش بلا فساد كان سيحيا مثل الله (مزمور ٨١: ٦-٧ السبعينية)" (ف ٤: ٥ – ٦).

فهل ذكر أثناسيوس ما يسمى بـ "خطية الطبيعة"؟ أبداً، بل كل العبارات السابقة هي عن الخلق من العدم – الفساد الطبيعي، وهو عودة الانسان إلى العدم، لولا رحمة الله – الإنسان ميت بالطبيعة (مع ملاحظة أن ترجمة العبارة في الترجمة العربية إلى "فانٍ بالطبيعة" ترجمة غير دقيقة، وهو ما سوف يؤكده أثناسيوس نفسه في الفصل الخامس)، حيث يقول: "لأن الله لم يخلقنا فقط من العدم، بل وهبنا بنعمة اللوغوس أن نحيا حياةً إلهيةً"، ويتابع، ولاحظ أنه لا يتحدث عن آدم، بل عن البشر: "ولكن البشر تحولوا عن الأمور الأبدية بمشورة الشيطان وتحولوا إلى الفساد، فصاروا هم سبب فسادهم بالموت" (ف ٥: ١).

كيف عاش البشر قبل السقوط؟

يجيب الرسولي: "كما قلت سابقاً، كانوا فاسدين بالطبيعة، ولكن بنعمة الشركة في اللوغوس كانوا قادرين على الابتعاد عن نتائج (فساد) طبيعتهم إذا ظلوا صالحين" (ف ٥: ١). هذه العبارة لا تسند تزوير الأنبا بيشوي؛ لأن فساد الطبيعة هو الخلق من العدم، والموت الطبيعي هو نهاية كل ما خُلِقَ من العدم، وهو ما يؤكده أثناسيوس نفسه: "بسبب اللوغوس الذي كان فيهم، فإن فسادهم الطبيعي كان عاجزاً عن أن يمسهم كما يقول سفر الحكمة: "الله خلق الإنسان في عدم فساد وجعله صورة أزليته ولكن بحسد الشيطان دخل الموت إلى العالم" (٦: ٨ راجع ايضاً صلاة الصلح – القداس الباسيلي).

ويكمل القديس العظيم شرحه: "عند ذلك وهو ما حدث، مات البشر وساد عليهم الفساد بصورة أقوى من قوة الطبيعة على الجنس البشري، وبقوة أكثر لأنه

(الفساد) تحصن (أو زادت قوته) بسبب تهديد الله الخاص بتعدي الوصية" (ف ٥: ٢).

سيادة فساد الموت:

السطر الأول في الفصل السادس يكفي: "لهذا السبب مَلَكَ الموتُ بقوةٍ. والفساد صار حائلاً ضد البشر؛ لأن الجنس البشري دُمِّر (لم يعد يحيا حياةً إنسانيةً) والإنسان العاقل الذي خُلِقَ في الصورة قد قطع (من الصورة)، والعمل الذي خلقه الله كان يهلك. وحقاً –كما ذكرت سابقاً– كانت شريعة الموت سائدة علينا، وكان من المستحيل أن نهرب من شريعة الموت؛ لأنها وضعت بواسطة الله من أجل التعدي" (ف ٦: ١ – ٢).

هل لاحظ القارئ هذا التكوين الإنساني؟

* طبيعة فاسدة = خلقتني من العدم.

* الإنسان ميت بالطبيعة = غير قادر على البقاء بقدراته.

* الإنسان ترك الأمور الإلهية = تحول إلى الشر.

* الشر مِن صُنع الإنسان = لا وجود له.

* الخير مِن صُنع الله = لأن الله خالق ما له وجود.

إذن، فساد الطبيعة يعود إلى الأصل، أي إلى العدم الذي جاء منه الإنسان، لا إلى أية خطية.

طبعاً هذا قبل سقوط آدم، فهل تغيَّر الوضع بعد سقوط آدم؟

الجواب عند أثناسيوس نفسه، فبعد أن شرح أثناسيوس في بقية الفصل السادس

أن الله لا يمكن ن يتراجع لأنه أبو الحق، وأن الله لم يكن في مأزق، بل الإنسان الذي جلب حكم الموت، وهو ما يجعل الله الصالح لا يرضى بموت الإنسان، لذلك نجده في الفصل السابع، وهو الفصل الذي لا يمكن للمطران بيشوي القفز فوقه، يضع النقاط التالية:

* هل كان الله سيطلب التوبة؟ ويجيب اثناسيوس: "التوبة لا تقدر أن تغيِّر طبيعة الإنسان ... لأن نعمة مماثلة صورة الله نُزِعت (من البشر)" (ف ٧: ٣ – ٤).

* الفساد الذي دخل على طبيعة الإنسان هو فسادٌ مزدوج:

– **الوجه الأول**: هو عدم ثبات الطبيعة؛ لأنها خلقت من العدم.

– **الوجه الثاني**: هو عدم تأمل الله، بل تأمل ما هو غير موجود، أي الشر، وهو ما جعل الإنسان يسقط تحت تهديد الله بالموت في حالة العصيان.

* ونُزِعت منه النعمة، فصار الإنسان سبب موته، وسيادة الفساد لم تعد سيادة طبيعة فقط، بل زادت بسبب حكم الموت.

لذلك يضع اثناسيوس الحل، أي خلاص الإنسان، وهو ليس في غفران خطية آدم كما ساد في العصر الوسيط، بل كان الحل في مجيء اللوغوس، الذي يقول عنه:

* "كان هو وحده القادر أن يأتي بالفاسد إلى عدم فساد، وأن يعيد خلق كل شيء وأن يتألم عن الكل" (ف ٧: ٥).

* "البشر الذي رجعوا إلى الفساد بالتعدي، يعيدهم إلى عدم الفساد ويحييهم من الموت بالجسد الذي جعله جسده الخاص وبنعمة القيامة يبيد الموت منهم" (ف ٨: ٤).

ماذا فعل التجسد؟

لو كان الأمر وراثة -**حتى ولو كانت وراثة الموت التي لا ننكرها**- لكان جديراً بالله بأن يغيِّر قانون الوراثة، ويخلِّص البشرية، ولكنه كان "**فقدان النعمة**"، وهي النقطة التي أبرزها د. جورج فرج في بحثه المطبوع، ثم في محاضرة مستفيضة.

والتجسد حسب أثناسيوس:

١- "أخذ جسداً مماثلاً لطبيعة أجسادنا" (٨: ٤).

- "جسداً قابلاً للموت" (١٣: ٩ – ٢١: ٥).

٢- أمات الموت في جسده "جسداً قابلاً للموت حتى يمكن أن يبيد فيه الموت" (١٣: ٩).

- "الموت لم يعد له سلطان بالمرة، بل لقد مات حقاً" (٢٧: ١).

٣- "أبطل الموت ومنع فساد الموت وأباده" (٢٩: ٦).

٤- "المسيح قد أمات الموت" (٣: ٢).

"الجميع ماتوا فيه":

الكلمات هي للقديس أثناسيوس (٢٠: ٥)، فهو يقول: "موت الجميع قد تم في جسد الرب"؛ لأن الحكم كان على الكل، ليس بسبب الوراثة، بل كما قال رسول المسيح: "كما في آدم يموت الجميع" وهي ليست صيغة الماضي؛ لأن الرسول لم يقل "مات الجميع"، بل هي الحقيقة السابق ذكرها في نفس السطر في (١كو ١٥: ٢١-٢٢): "فإنه إذا الموت بإنسان، هكذا قيامة الأموات؛ لأنه كما في آدم يموت الجميع

هكذا في المسيح سيُحيا الجميع". وموت الجميع في المسيح يرفضه الأنبا بيشوي؛ لأنه يتناقض مع فكرة دفع الثمن. لكن؛ لأن اللوغوس:

١- أخذ جسداً مثل جسدنا قابلاً للموت.

٢- هدم وأباد الموت فيه.

بذلك يكون حكم إبادة الموت قد شمل الكل، ليس بالوراثة، بل بتجديد الإنسانية في المسيح.

المعصية الأولى:

وهي ليست الخطية الأصلية كما يزعم المطران الذي يزوِّر كتابات الآباء؛ لأن كلمة αρχαιας تعني الأولى أو القديمة وليست الأصلية (راجع ف ٢٠: ٢). لأن تبرير الإنسان هو أن "يجعل الإنسان المائت غير مائت، أي ربنا يسوع المسيح الذي هو الحياة" (٢٠: ١).

قانون الوراثة:

منذ أن اكتشف العالم جورج مندل Mendel (١٨٢٢-١٨٨٤)، فقد أصبح من نافل القول أن نبحث في Genetics عن Gene اسمه "الخطية"، أو حتى في DNA عن آخر اسمه "الموت". فالموت هو غياب سكنى روح الحياة، ونحن نأخذ العربون هنا في انتظار القيامة للكل.

فكيف نعود إلى تعليمٍ قديمٍ له جذورٌ في هرطقة ماني، يحاول المطران أن يشوِّه به جمال الأرثوذكسية، ويُقابَلُ بصمتٍ غريب من الأساقفة، ومن سكرتير المجمع. يتبع.

د. جورج حبيب بباوي